ميتافيزيقا

الدرس السادس

أرسطو – معالم وأبعاد تحضيرية

1. ما هي الميتافيزيقيا؟

- علينا الآن أن نسأل هذا السؤال. عل كلٍّ سنجد الإجابة عليه في النظر إلى كلّ مسار أرسطو نحو **الفلسفة الأولى**.

- يبدو من الصعب أن نحدّد الموضوع، أي كلمى "ميتافيزيقيا" نفسها. تعرفون الآن أنّ المفكرين اليونان يحاولون دائماً تحديد المصطلحات، لكي يكون لها معناً وتعريفاً دقيقاً. ولكنّنا نجد أنفسنا، في ما يخص الميتافيزيقيا، في خضمّ البحث عن معنىً محدّد، وكأنّ الميتافيزيقيا تفلِتُ منّا.

- يمكننا أن نقول بكلّ بساطة، كما يقول أرسطو، أنّها "البحث في العلل والمبادئ الأولى" وبالتحديد **"علم الكائن ككائن"**. (ميتافيزيقيا، الكتاب Γ).
ولكن لا يكفي أن نقول ذلك فقط، إذ علينا أن نعرف ما يعني قولنا ذلك.
بينما نجد وضوحاً في قولنا أنّ "البيولوجيا هي علم الطبيعة"، أو أنّ "الرياضيات هي علم الأشكال الهندسية والأرقام"...، تختلف الأمور مع الميتافيزيقيا. فعندما نحدّدها كما فعلنا، مع أرسطو، فنحن في الحقيقة نذهب في اتّجاهين : نحو الكائن ومن الكائن.

- إذا عدنا إلى العلوم الأخرى، يمكننا ان نقول، في ما يخصّها، أنّنا نحدّدها في كلّ مرّة مستعملين الكائن أو الكيان. فنقول مثلاً : "الفيزياء هي علم التغيّر"، حيث يشير الضمير "هي" إلى الكيان.
أمّا الآن فمحور الأسئلة والاهتمام هو هذا الكائن نفسه. هناك نوع من الحلقة المفرغة. فنحن لا نبحث عن كائن شيءٍ ما أو الكامن في شيءٍ ما، بل عن الكائن دون ما يصله بالشيء أو ما قد يحتويه، أي "الكائن ككائن"، وهو ما يسمح كرابطة بكلّ تعريفٍ وتحديد.
هذه إذاً المسألة الأساسية. وليس إذاً من الغريب أن نصل إليها بشكلٍ متأخّر وأن تذكّرنا حتّى بمسائل وأسئلة أفلاطون.

- أود أن أشدّد وأكرّر : لا نهتمّ هنا "بمنطقة أو مجال من الكيان" بل بالكيان نفسه. وليس هو نوع من مجموعة متكاملة تحتوي على كلّ الأشياء والمجالات الموجودة، بل بالقاعدة الأساس، بما هو قبل المبادئ أو ما هو في أصولها.

- لنلاحظ شيئاً مهمًّا منذ البداية أيضاً : مشروع تأسيس الميتافيزيقيا هو مشروع "عقلاني" في النظر إلى العالم. فقد يمكننا تفسير العالم بطرقٍ أخرى، مثل الإيمان وحده مثلاً أو التصوّف، أي بواسطة أنواع أخرى من المعرفة.

2. خلفيات

ا- عودة سريعة غلى هيراقليطس الأفسسي، وبارمنيدس الإيلي، وسقراط.
ب- أفلاطون : يبني أفلاطون أوّل نظام ميتافيزيقي، لم يكن سقراط قد انتبه لإمكانيته، بسبب اهتمامه المفرط بالاخلاقيات.
يمكننا القول بأنّ أفلاطون نجح في الجمع بين بارمنيدس وهيراقليطس، أي بين تحدّر هيراقليطس من الحواس وثقة بارمنيدس بالعقل المجرّد.

3. أرسطو أمام الأفلاطونية والماديّة

كان لأرسطو مشاكل منذ البداية تقريباً مع الأكاديمية (حيث بقي 20 سنة – وقد التحق بها في أواخر ستّينات القرن الرابع ق. م.). فلم يفهم كيف يمكن تفسير العالم أمامه من خلال كيانات كالمثل بعيدة كلّ البعد عنه. فاعتبر أنّه يجب البدء مه العالم نفسه وإيجاد ما يؤسّسه.

لنلاحظ إذاً الأشياء التالية :

ا- يتفاعل أرسطو مع نظرية المثل أو الصوَر، ويواجه ويردّ على نظرية تواصل المثل ومزيجها (ما قد درسنه في محاورة **السفسطائي**) – فهي تقودنا في نهاية المطاف غلى اعتبار كلّ فرد مزيجاً من الكائن واللاكائن، فلا نرى عندها كيف يمكننا أن نجد كائناً أوّلا. ثمّ،

ب- يوجه ويردّ على الماديّة كما كانت في ذلك الوقت، أي "الذرية"، كم سيعتمدها إبيكرس. ما هي هذه النظريةن أو من أين أتت؟

يجاوب ليوكيبوس وتلميذه ديموقريطس على بارمنيدس. فيقول ديموقريطس لبارمنيدس : تقول بانّه "لا يمكننا أن نقول عن شيء كائن أنّه ليس كائناً". حسناً إذاً، لنقسم العالم بين "ما هو كائن وما هو غير كائن – الكائن هي المادّة، واللاكائن هو الفراغ. هذا تصميم العالم. يمكن تفسير العالم بواسطة "انتظام إحصائيات" التركيبات، ولسنا بحاجةٍ إلى "الفكر" أو إلى "العقل" الذي يتحدّث عنه أناكساغوراس."

كان هذا المذهب شائعاً في القرن الرابع ومعاكس للأفلاطونية.

ت- يسعى أرسطو بالتالي إلى التوفيق بين هذَين المذهبَين، معتداً في ذلك على 3 أسئلة علينا ألاّ ننساها في كلّ عملنا المكرَّس لأرسطو :

1- ما هو **الكائن** وما هي الأشياء الكائنة؟

2- ما الّذي يجعل الأشياء الموجودة **تتغيّر**؟

3- كيف يمكننا **فهم العالَم**؟

نجد الأجوبة الرئيسية عن هذه الأسئلة في كتب **الفيزياء والمقولات** وخاتمة **الميتافيزيقا**.

4. الأشياء الكائنة

علينا أن نتّجه نحو كتاب **المقولات** لنجد جواباً أوّل على السؤال الثاني : "ما هي الأشياء الكائنة؟" وهذا ما سيسمّى فيما بعد "بالأنتولوجيا"، أي دراسة الاشياء التي لها كيان.

- يقودنا ذلك إلى سؤالٍ آخَر "يفتحه" أممانا أرسطو : كيف تملك الأشياء الكائنة كائناً أو الكائن؟ ملا يمكن السؤال في هذا الاتّجاه إلاّ إذا كانت الأشياء تملك الكيان **بطرقٍ مختلفة**.

تعتبر هذه إحدى أعظم ابتكارات أرسطو.

- وتقودنا هذه النظرية إلى استنتاجات جديدة : فهناك عندها أشياء تملك الكائن بشكلٍ أساسي أكثر من غيرها. وهناك بالتالي "تسلسل هرمي" للكيانات.

- وهناك بالتالي تحديد ل 10 مقولاتٍ للكيان :

الجوهر (οὐσία، وهو مؤنّث يأتي من فعل εἶναι، كان)

الإضافة

الكم

الكيف

المكان (أو الأين)

الزمان (أي متى)

الوضع

الملك

الفعل

الانفعال.

- تتميّز هذه المقولات بكونها غير ممكنت ككائنة أو غير كائنة عندما تكون وحدها، بمعنى أنّها ليست صحيحة ولا خاطئة، ليست نعم وليست كلاّ. ومن ناحية أخرى، باستعمالها كروابط، يمكننا أن نقول ما هو صحيح أو غير صحيح. وهي بالتالي أولى في المنطق. هي لا تشكّل فعل كان أو الكيان نفسه، ليست الرابط نفسه، بل محمول الأشياء.

لنأخذ بعض الأمثال :

جوهر : فادي (هو) إنسان.

إضافة (relation) : أصغر، أكبر

كم : طول هذه السيارة 4 أمتار

كيف (qualité) : السيارة بيضاء، بولس طبيب

مكان : في المنزل، على الشاطئ

زمان : لمدّة ساعتَين

وضع : واقف، جالس

ملك : مرتدياً معطفاً

فعل : ماشياً

انفعال : مشوّه.

نستعمل هنا الكيان للتوكيد أو النفي، "تحت" مقولةٍ من المقولات...

أقسام الكتاب :

1. أنطولوجيا
2. كوسمولوجيا
3. سيكولوجيا
4. لاهوت طبيعي.